

القصص الـ٢

الحلقة الثانية
قصص السيرة

مولى رسول

عبد محمد جودة السحبار

٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْيَتَمَّ
وَإِسْمَاعِيلُ : رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ
مُسْلِمَةٌ لَكَ ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا ، إِنَّكَ
أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُنَزِّكُهُمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(قرآن كريم)

خَرَجَ رَجَالٌ مِّنْ مَكَةَ يُرِيدُونَ الشَّامَ ، وَفِيمَا هُمْ
 بَيْعَضِ الْطَّرِيقِ إِذْ مَرُوا عَلَى رَاهِبٍ مُنْقَطِعٍ عَنِ النَّاسِ
 يَعْبُدُ اللَّهَ ، فَفَكَرَ أَرْبَعَةً مِنْهُمْ فِي أَنْ يُرْجِعُوا عَلَى
 ذَلِكَ الرَّاهِبَ ، يَتَحَدَّثُونَ مَعَهُ ، وَكَانَ الرُّهْبَانُ أَهْلَ
 عِلْمٍ ، وَكَانَتْ أَحَادِيثُهُمْ تُدْهِشُ الْعَرَبَ الَّذِينَ
 مَا كَانُوا يَعْرِفُونَ إِلَّا التِّجَارَةَ أَوِ اللَّهُ .

دَخَلُوا عَلَى الرَّاهِبَ ، وَجَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ إِلَيْهِ ،

فَقَالَ لَهُمْ :

— مَنْ أَيْنَ أَنْتُمْ ؟

— مَنْ مَكَةَ .

فقال : إن الله سيبعث فيكم نبياً وشيكاً ،
فسارعوا إليه ، وخذلوا حظكم ترشدوا .
فنظر إليه الرجال في دهش ، وقالوا :
— ما اسمه ؟
— محمد .

ودخل الراهب صومعته ، وهي المكان الذي
ينقطع فيه للعبادة ، وسار الرجال الأربع ، وهم
يُفكرون فيما قاله الراهب ، وقد قرر كلّ منهم في
نفسه إن رزقه الله غلاماً أن يسميه محمدًا ، رغبة
في أن يكون ذلك النبي المنتظر من نسله .

كان عبد المطلب ينام في الكعبة ، فرأى في نوْمِه
 شجراً نبت حتى بلغ رأسها السماء ، وامتدت
 أغصانها في المشرق والمغرب ، ورأى النور يخرج من
 هذه الشجرة ، وكان نوراً قوياً ؛ ورأى العرب
 والعجم يسجدون للشجرة ، وهي تزداداً عظماً
 ونوراً وارتفاعاً ؛ ورأى ناساً من قريش قد تعلقاً
 بأغصانها ؛ ورأى قوماً من قريش يُريدون قطعها ،
 فإذا دنوا منها أخرهم شابٌ رائع الحسن جميل الهيئة ؛
 فرفع عبد المطلب يده ، ليتناول منها نصيباً فلم ينلها ،
 فقام من نوْمِه مذعوراً .

وجلس عبد المطلب يفكّر في الحُلم ، فلم يَعْرِفْ تأويلاً ، فقام ليذهب إلى كاهنة قريش ، لِتُفسِّرَ له هذا الحُلم ؛ وكان العرب يستشِرُونَ الكاهنَ أو الكاهنة في سفرِهم ، أو في زواجهم أو في تفسيرِ أحَلامِهِم .

فلما دخل عليها نَحْتَ في وجهه القلق ، فقالت :

- ما بال سَيِّدِهِم قد أتَى مُتَغَيِّرَ اللُّونَ ؟

فقال عبد المطلب :

- رأيتُ رؤيا أفزعني .

وراح يقصُّ عليها رُؤْيَاهُ ، فلما انتَهَى منها ،
قالت :

- لَئِنْ تَحْقَقَتْ رُؤْيَاكَ ، لِيَخْرُجَنَّ مِنْ صُلْبِكَ (أي من أولادك) رجلٌ يعلِّكُ الْمَشْرُقَ وَالْمَغْرِبَ ، وَتَدِينُ
لَهُ النَّاسُ .

وَقَامَ عَبْدُ الْمُطَلَّبِ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ ، فَلَمَّا قَابَلَ ابْنَهُ
أَبَا طَالِبٍ ، قَصَّ عَلَيْهِ رُؤَيَاهُ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا قَالَتْهُ
الْكَاهِنَةُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
— لَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ هَذَا الْمُولُودُ !

وَلَكِنَّ لَمْ يَكُنْ أَبُو طَالِبٍ الْمُولُودُ الْمُنْتَظَرُ ، بَلْ كَانَ
الْمُولُودُ الْمُنْتَظَرُ لَا يَزَالُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ آمِنَةً بَنْتَ وَهْبٍ .

حَمَلْتِ آمِنَةً فَمَا وَجَدْتِ تَعْبًا فِي الْحَمْلِ . إِنَّهَا
 تَسْمَعُ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ الْحَمْلَ يُتَعَبِّهُنَّ ، وَلَكِنَّهَا لَا تَجِدُ
 لَهُ مَشْقَةً . وَمَرِتِ الْأَشْهُرُ ، وَإِذَا بِهَا تَرَى أَحْلَامًا
 كَثِيرَةً ؛ رَأَتِ فِيمَا رَأَتِ كَأنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ ،
 أَضَاءَتِ لَهُ قَصْوَرُ الشَّامِ .

وَفِي ذَاتِ لِيلَةٍ ، رَاحَتِ فِي النَّوْمِ ، فَسَمِعَتْ هَاتِفًا
 يَهْتِفُ بِهَا :

— يَا آمِنَةً ، إِنَّكَ حَمَلْتِ بِخَيْرِ الْعَالَمَيْنِ ، فَإِذَا وَلَدْتِهِ
 فَسَمِّيهِ مُحَمَّدًا ، وَأَكْتُمِ شَائِنَكَ .

وَقَامَتْ آمِنَةُ مِنْ نُوْمِهَا ، وَتَلَفَّتْ فَلَمْ تَجِدْ أَحَدًا فِي
الْغُرْفَةِ ، فَذَهَبَتْ لِتَتَامَ ، وَلَكِنْ لَمْ تُعْمِضْ لَهَا عَيْنَ ،
وَكَانَ صَوْتُ الْهَاتِفِ لَا يَزَالُ يَرْنُ فِي أَذْنِيهَا :

— يَا آمِنَةَ ، إِذَا وَلَدْتِهِ سَمِّيَهُ مُحَمَّدًا .

وَكَتَمَتْ آمِنَةُ مَا رَأَتْ ، وَلَمْ تَذَكُّرْهُ لِأَحَدٍ .

و جاءَ آمنةَ المَخَاضِ ، و وضعَتْ مَا فِي بَطْنِهَا ،
 فَكَانَ وَلِيُّهَا جَيِلاً نَظِيفاً ، وَأَرْسَلَتْ إِلَى عَبْدِ الْمَطَّلِبِ
 رَسُولاً ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْكَعْبَةِ بَيْنَ
 سَادَاتِ قُرَيْشٍ ، وَقَالَ لَهُ :
 - جَاءَتْ آمِنَةُ بَغْلَامٌ .

فَقَامَ عَبْدُ الْمَطَّلِبِ مُسْرُوراً ، وَذَهَبَ إِلَى آمِنَةَ ،
 وَحَمَلَ الطَّفَلَ وَهُوَ فَرَحَانٌ ، وَدَخَلَ بِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ ،
 ثُمَّ عَادَ بِهِ إِلَى آمِنَةَ ، وَقَالَ لَهَا :
 - لَقَدْ سَكَيَّتِهِ قُشْمٌ .

كَانَ لِعَبْدِ الْمَطَّلِبِ ولَدٌ اسْمُهُ قُشْمٌ ، مَاتَ وَهُوَ ابْنٌ

تسع سنين ، فحزن عليه حزناً شديداً ، فلما جاءت
آمنة بغلام ، أراد عبد المطلب أن يسميه « قشم » ؟
تخليداً لذكرى ابنته الذي كان يحبه ، ولكن آمنة
قالت له :

— أمرت في منامي أن اسميه محمدًا .

فضمه عبد المطلب إلى صدره وقبله ، وقال :

— أرجو أن يكون لابني هذا شأن عظيم .

كان اليهود يعيشون في يثرب (المدينة) مع العرب ، وكانوا يقولون لهم إنهم ينتظرون نبياً يأتي ويهدى الناس إلى النور ، وإنهم سينضمون إلى ذلك النبي عند ظهوره ، وإنهم سيغلبون به العرب .
وكان بعض علماء اليهود يقولون للعرب : إن هذا زمانه .

وفي نفس الليلة التي ولد فيها محمد ، كان يهودي يرصد النجوم ، فرأى نجماً لم يره في السماء من قبل ، وكان هذا دليلاً على مولد النبي ، فقام اليهودي على محل مرتفع ، وصاح :
ـ يا معاشر اليهود .. يا معاشر اليهود .

فاجتمع الناسُ حوله ، وراحوا يسألونه :

- ماذا جرى ؟ ... ماذا جرى ؟

- أمرٌ جليل .

- ويَلَكَ ! مَا لَكَ ؟

- طَلَعَ الْلَّيْلَةَ نَجْمٌ أَحْمَدٌ .

وفي نفس الليلة ، كان يهودي يمر على مجالس قريش ، ويقول :

ـ هل ولد فيكم الليلة مولود ؟

فينظر الناس إليه في عجب ، ويقولون :

ـ والله لا نعلم .

فيقول اليهودي :

ـ احفظوا ما أقوله لكم ، ولد هذه الليلةنبي هذه الأمة .

كان اليهود ينتظرون مجيء محمد ، ولكن لما جاء إليهم ، ودعاهم إلى الله ، كذبوا ولم يصدقوا !

وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ مَوْلِدِ مُحَمَّدٍ، أَمْرَ عَبْدَ
 الْمَطْلُبِ بِذِبْحِ الذَّبَائِحِ، وَدَعَا عَظِيمَاءَ قُرَيْشٍ إِلَى
 وَلِيمَةٍ أَعْدَهَا لَهُمْ، فَلَمَّا جَاءُوهُمْ وَأَكَلُوا، خَرَجَ عَلَيْهِمْ
 بِمُحَمَّدٍ، فَرَاحُوا يُنْظَرُونَ إِلَيْهِ فِي عَطْفٍ وَإِشْفَاقٍ؛
 لَأَنَّهُ يَتِيمٌ، وَلَأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ.

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ :

— مَاذَا سَمَّيْتَهُ يَا أَبا الْحَارِثَ؟

فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلُبِ :

— سَمَّيْتُهُ مُحَمَّداً!

فَقَالَ رَجُلٌ آخَرُ فِي عَجَبٍ :

— ما حَمَلْكَ عَلَى أَنْ تُسَمِّيَهُ مُحَمَّداً ، وَلَيْسَ مِنْ
أَسْمَاءِ آبَائِكَ وَلَا قَوْمِكَ ؟

لَمْ يَشَأْ عَبْدُ الْمُطَّلَبَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ إِنْ آمِنَةَ أُمِرَّتَ فِي
مَنَامِهَا أَنْ تُسَمِّيَهُ مُحَمَّداً ، لِأَنَّهَا طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَكْتُمَ

ذَلِكَ ، فَقَالَ :

— أَرَدْتُ أَنْ يَحْمِدَهُ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ ، وَتَحْمِدَهُ
النَّاسُ فِي الْأَرْضِ .

وَانْصَرَفَ النَّاسُ ، وَمَا دَرَى أَحَدُهُمْ أَنْ هَذَا
الْمُولُودُ الَّذِي أَشْفَقُوا عَلَيْهِ ، جَاءَ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَأَنَّهُ دُعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي دَعَاهَا
يَوْمَ أَمْرَةِ اللَّهِ أَنْ يَبْنِيَ الْكَعْبَةَ ، ﴿رَبَّنَا وَابَّعَثْ فِيهِمْ
رَسُولاً مِنْهُمْ ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ، وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيَزِّكِيهِمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .